المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة: النساء – الآية: ٥٨]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ [سورة: الأنعام – الآية: ١٥٢]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة: النحل – الآية: ٩٠]

صدق الله العظيم

إن العدل أمر مباشر من الله سبحانه وتعالى لجميع المسئولين والحكام ولجميع البشر، كما أنه اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته، وآية من آياته أنزلها على جميع البشر فى أى زمان ومكان، والجميع ملزم بالعدل، ولهذا وجب علينا طاعة هذا الأمر، كما وجب علينا التعلق بالعدالة، وأن نستمد من هذه الصفة منهاج حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية بوجه عام.

ومن أحكام المولى الكريم «العدل فى القول وفى العمل وفى المعاملة، وفى مختلف مناحى الحياة» والعدالة البيئية بمفهومها الشامل تدخل ضمن هذا الأمر الإلهى ومن مقتضى ذلك أن يكون الفرد عادلا نحو خالقه بعبادته وطاعته، سواء نحو نفسه أو غيره أو بيئته، وأن تكون الجماعة عادلة نحو الأفراد والمجتمع والبيئة... وأن تكون الدولة والقيادة عادلة نحو المواطنين والمجتمع والبيئة التى نعيش فيها، وهذه هى العدالة فى اليهودية والمسيحية والإسلام.

والعدالة البيئية تعنى العدل فى كل شىء، وفى كافة مناحى الحياة سواء فى البعد الاجتماعى أو البعد الاقتصادى أو البعد الطبيعى المرتبط بالموارد الطبيعية والتلوث، كما تمتد للمساواة فى الحقوق والواجبات لجميع المواطنين، وفى تقديم الخدمات وتوزيعها وتسعيرها بعدالة، وهى أساس الاستقرار والنجاح والتنمية، وغياب العدالة يؤدى للشعور بالظلم، وانتشار ذلك يؤدى لشعور المواطن بالإحباط، ومن هنا يبدأ الصراع، وغياب العدالة

البيئية بمفهومها الشامل هو السبب الأول لقيام معظم الثورات الإنسانية فى كل مكان وكل زمـان، ويلخص ذلك قول مندوب الفرس عند زيـارة «عمر بن الخطاب» – أمير المؤمنين. عندمـا وجده نائما تحت شـجرة، فقـال {حكمت. فعدلت. فأمنـت. فنمت ... يا عمر} ويلاحظ على هذه المقولة الخالدة أهمية ترتيب وموضع كل كلمة حيث جاءت كالتالى:

- حاكم.
- عادل.
- أمان.
- نـوم بمعنى الاسـتقرار والراحـة اللازمة للنمو والتقدم بما يرضـى ضمير الحاكم، فينام مطمئن الضمير، والحاكم هو المسـئول والمنوط بتحقيق العدل الذى بدونه لا نجد الأمان ... والأمان هو المناخ والبيئة الملائمة للنمو والراحة.

ولقد أدركت كل النظم السياسية بمختلف مسمياتها هذه الحقيقة، ولذلك سعت كل منها بوسائلها لتحقيق العدالة البيئية بدرجة أو أخرى، ولذلك تبقى العدالة ركنا مهما سواء فى النظام الرأسمالى أو الاشتراكى أو الشيوعى، وبرغم ذلك نجد صورا متنوعة ودرجات متفاوته للعدالـة البيئيـة فى كثير من دول العالم، ولكن يبقى الشـرق يعانـى أو أكثر المناطق التى تعانى من غياب العدالة البيئية بشـكل أو بآخر، برغم أن الأديان السماوية الثلاث نشأت فى الشرق، وقد اهتمت بالعدالة البيئية بشكل واضح وصريح، بل إن مصر الفرعونية كانت أسـبق فى نشـر فكرة العدالة البيئية، وكان الميزان رمز العدالة فى مصر الفرعونية، وكان يتصدر قاعة المحاكم فى مصر الفرعونية، ثم نقل هذا الرمز لمحاكم العالم كله، وجاء القرآن فـى آيات كثيرة يربط فكـرة العدل بالميزان فى قولـه تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سـورة: الأنعام – الآية: ١٥٢]، قـال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [سورة: هود – الآية: ٨٥]، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [سـورة: الرحمن – الآية: ٩] ثم جاءت ثورة ٢٥ يناير مطالبة بالعدالة كهدف رئيسى بها ثم تكرر المشهد بصورة أكبر وحشد لم يشهده تاريخ البشرية فى ثورة ٣٠ يونيو بنفس المطلب، وأكده الشعب مرة أخرى فى ٢٦ يوليو بصورة أكبر.

ومـن هنا تأتى أهمية قضية العدالة البيئيـة وضرورتها الآن، والحاجة الملحة لأن يدلى كل مختـص بما لديه فـى هذا المجال، خاصـة وأن قضية العدالة البيئيـة ترتبط تقريبا

بكل التخصصات، وليست حكرا على تخصص واحد أو اثنين، وهذه هى العدالة البيئية والبعض بل الأغلبية تتحدث عن العدالة الاجتماعية، ولكن الواقع أنهم يقصدون العدالة البيئية، وإن كان مفهوم العدالة البيئية ليس منتشرا، وذلك مرجعه أن الاهتمام بالبعد البيئى بوجه عام بدأ من عقود بسيطة، ولم يصل بعد للعامة، ولكن الواقع أن معظم من يتحدثون عن العدالة الاجتماعية يعنون العدالة البيئية وهى المفهوم الأعم والأشمل، كما أن العدالة الاجتماعية هى قلب العدالة البيئية، والركيزة الأساسية أيضا، ويبقى فى النهاية الاعتراف بفضل ثورة ٢٥ يناير، لأنها كانت السبب الرئيسى فى اهتمامى بقضية العدالة البيئية، والمزيد من البحث والدراسة والسعى الجاد لخروج هذا العمل إلى النور، وأعتقد أنها محاولة أولية فى هذا المجال وأتمنى أن تتلوها محاولات عديدة لأهمية هذا المجال والحاجة لجهود أكبر وأكثر فى المستقبل بمشيئة الله.

وفى ضوء كل ما سبق سعى الباحث إلى تقديم هذا الكتاب محاولا كتابة بحث علمى مناسب للمتخصصين وللعامة، ومن هنا كانت الصعوبة فعذرا إذا شعر القارئ غير المتخصص بصعوبة فى بعض الأجزاء أو الفصول، لأن الاجتهادات العلمية فى هذا المجال محدودة وفى حاجة لمزيد من البحث والدراسة، وهذا الكتاب يتكون من خمسة فصول، تناول الفصل الأول المفاهيم الأساسية لقضية العدالة البيئية، ثم تناول أهم ركائز العدالة البيئية التى تستند إليها، وتناول الفصل الثانى أبعاد العدالة البيئية المختلفة من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والحقوق والواجبات ونشر وتوزيع وتسعير الخدمات، ثم الفصل الثالث نظرة تاريخية للعدالة البيئية منذ عصر الفراعنة، ثم فى الحضارات اليونانية والرومانية والصينية ثم فى الأديان الثلاث، وكان الفصل الرابع تحليلا علميا لقضية العدالة فى النظريات الاجتماعية واختتم الكتاب بالفصل الخامس عن العدالة البيئية فى العصر الحديث، وأهم مؤشراتها ومكوناتها فى مصر وفى العالم.

... وفى الختام هذه محاولة واجتهاد أولى فى هذا المجال.

... والله ولى التوفيق،،،

أ. د/ حاتم عبد المنعم أحمد
القاهرة – المنيل
٢٠١٣/٧/٣١